اقرأ الشيخ الأحسائي

سلسلة من البحوث حول فكر الأحسائي وتلامذته

هدفها نشر المفاهيم الصحيحة لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

تأويل الراسخين

يؤصله الشيخ الأحسائي

العدد الثاني

سعيد محمد القريشي

١٤٢٨هـ
٢٠٠٧م

اقرأ الشيخ الأحسائي

سلسلة من البحوث حول فكر الأحسائي وتلامذته

هدفها نشر المفاهيم الصحيحة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام

العدد الثاني

تأويل الراسخين

« يؤصله الشيخ الأحسائي»

سعيد محمد القريشي

١٤٢٨ هـ

٢٠٠٧م

الأوحد

موقع الأوحد

Awhad.com

اقرأ الشيخ الأحسائي

سلسلة من البحوث حول فكر الأحسائي وتلامذته

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

المشرف العام:

سعيد محمد القريشي

مجتبى طاهر السماعيل

يصدر الكتاب
من بيروت

تأويل الراسخين

« يؤصله الشيخ الأحسائي»

سعيد محمد القريشي

المقطع الأول ٧

تمهيد

المقطع الثاني ١٢

نافذة على أفهوم التأول

المقطع الثالث ٣٦

الشيخ الأحسائي بنيوي أم تفكيكي؟

المقطع الرابع ٤٩

شروط المؤول كما يراها الأحسائي

المقطع الخامس ٥٢

أمثلة تطبيقية لمنهج الشيخ في التأويل

المقطع السادس ٦٢

الشيخ الأحسائي وبعض علماء التأويل المعاصرين

إهداء

إلى روح والدتي المرحومة التي علمتني المثابرة والجد في يناعة غصني، وإلى جدتي التي علمتني حقيقة الإيمان والعقيدة برسوخ إيمانها.

١

تمهيد

لعلها تبرز أهمية التأويل حينما رفع جيش معاوية المصاحف على أسنة الرماح واختلاف جيش الإمام علي عليه السلام ومن ثم إفراز طبقة جديدة في الأمة الإسلامية اسمها الخوارج .

ومن قبل هذا كان قتل عثمان شرارة التأول التي تلقفها معاوية ورفع قميصه شعاراً له، وهذه الفترة عنونت (بحروب التأويل)، معاوية وحزبه ضد الإمام علي عليه السلام وحزبه.

وإذا رجعنا إلى حرب التأويل التي وقعت بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية ينقل لنا التأريخ عن

أسماء بن الحكم الفزاري قال: « كنا بصفين مع علي بن أبي طالب تحت راية عمار بن ياسر إذ أقبل رجل.. فقال: أيكم عمار بن ياسر؟ فقال عمار: هذا عمار! قال: إني خرجت من أهلي مستبصراً بالحق الذي نحن عليه لاشك في ضلالة هؤلاء القوم وإنهم على الباطل فلم أزل على ذلك مستبصراً حتى ليلتي هذا الصباح يومنا هذا، فتقدم منادينا فشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ونادى بالصلاة، فنادى مناديهم بمثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة، فصلينا صلاة واحدة، ودعونا دعوة واحدة، وتلونا كتاباً واحداً، ورسولنا واحد، فأدركني الشك في ليلتي هذه، فبت بليلةٍ لا يعلمها إلا الله حتى أصبحت، فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له، فقال:

هل لقيت عمار بن ياسر ؟ قلت: لا. قال: فالقه فانظر ما يقول لك فاتبعه. فجئتك لذلك . قال عمار: هل تعرف صاحب هذه الراية السوداء المقابلة لي، فإنها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات وهذه الرابعة، ما هي خيرهن ولا أبرّهن بل هي شرهن وأفجرهن، أشهدت بدراً وأحداً، وحنيناً أو شهدها لك أبٌ فيخبرك عنها؟ قال: لا. قال فإن مراكزنا على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، هل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ فو الله لوددت أن جميع من أقبل مع معاوية، ممن يريد قتالنا، مفارقاً للذي نحن عليه، كانوا خلقاً واحداً قطعته وذبحته..أتراني بينت

لـك ؟ قـال: قـد بينـت لـي، قـال: فـاختر أي ذلـك أحببت..(١)».

وتأول النصوص القرآنية وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله لم يأخذ جنبة سياسية فقط، بل صار التأول منهجاً فلسفياً كاملاً أقيمت عليه مدارس فلسفية وفرقاً طائفية، أخذت شوطاً عظيماً في التأريخ والمجتمع الإسلاميين. بل نحت به بعض الفريقات نزوعاً تدميرياً في المجتمع الإسلامي، كما فعل معاوية برفع المصاحف، وقضية خلق القرآن وغيرها من المشكلات العقائدية ذات التأثير الاجتماعي الهدام.

---

(١) البحراني ، أحمد ، التأويل منهج الاستنباط في الإسلام ط ٦ . ١٩٩٩ دار التأويل للطباعة والنشر ، (د،م،ن) ص١٣٤ .

من هنا عندما نتناول موضوع التأول في مدرسة فيلسوف عظيم في العالم الإسلامي ، إنما نتناول موضوعاً خطيراً للغاية.

ولكن من جهة أخرى نؤسس منهجاً أصيلاً مبتكراً لنخدم به سالكي طرق التأول .

٢

- نافذة على أفهوم التأول

إن أفهوم التأويل من الناحية اللغوية لا يقل إشكالية عنه في الناحية الاصطلاحية.

لقد مر أفهوم التأول بمراحل عديدة، ولا نقصد هنا لغة بعينها، بل اللغة بماهي وسيلة لنقل المعلومات البشرية، الذي يتخصص فيها علم اللغة، وفقه اللغة، فتارة تقع الإشكالية في نفس الأفهوم،

وتارة تقع الإشكالية في استخدام الأفهوم من واحد لآخر وفق ما تمليه عليه فلسفته في إطارها العام والخاص.

وسئل أبو العباس بن يحيى عن التأويل فقال: التأويل والمعنى والتفسير واحد.

الليث: التأول والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه.

وأنشد: «انحن ضربناكم على تنزيله، فاليوم نضربكم على تأويله» وقال أبو عبيدة في قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله (١)﴾، قال: التأويل المرجع والمصير مأخوذ من آل يؤول إلى كذا إي صار إليه.

الجوهري: التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أولته تأويلاً وتأولته بمعنى، ومنه قول الأعشى:

---

(١) سورة آل عمران / ٧ .

على أنها كانت، تأولُ حُبَها تأوّلُ ربعيِ الشعاب، فأصْحبا

والتأويل: عبارة الرؤيا (٢).

والتأويل: بقلة ثمرتها في قرون كقرون الكباش، وهي شبيهة بالقَفْعاء ذات غصنة وورق، وثمرتها يكرهها المال، ورقها يشبه ورق الآس وهي طيبة الريح، وهو من باب التثبيت، واحدته تأويلة.

وروى المنذري عن أبي الهيثم قال: إنما طعام فلان القفعاء والتأويل، وهما نبتان محمود من مراعي البهائم، فإذا أرادوا أن ينسبوا الرجل إلى أنه بهيمة إلا أنه مُخصب موسّع عليه ضربوا له هذا المثل، وأنشد غيره لأبي وجزة السعدي:

---

(٢) ابن منظور، محمد، لسان العرب، ١٤٠٥هـ، نشر أدب الحوزة، قم — إيران، ص ٣٣-٣٤، ج١١.

عَزْب المَراتعِ نظارٌ أطاع له، من كل رابيةٍ، مكرُ وتأويل ..... (٣) .

نلاحظ أن الأفهوم اللغوي للتأول، رغم وجود الاختلاف اليسير فيه إلّا أنه يُجمع على صورة واحدة للتأول كمنطق عملي فلسفي .

وهذه الصورة تقوم على:

أ — معنى ظاهر ممكن فهمه من خلال تركيب النص .

ب— معنى خفي لا يمكن الوصول له إلا بإشارات خاصة من النص الظاهري نحو المعنى الماورائي الخفي.

إذن، نجد المفسرين والمتكلمين والفلاسفة المسلمين وكذلك الأدباء يجمعون على النقطة الأولى

---

(٣) المرجع السابق، ص ٣٩—٤٠، ج ١١.

بلا اختلاف تقريباً، إلا فيما يتعلق بتطور اللغة الزمني والاجتماعي...بحيث لو استقر مفهومهم عن دلالية ألفاظ محدودة في توليف نصي أو أسلوبي معين لن نجد اختلافاً بينهم في فهم منطوق ذلك النص أو التركيب الأسلوبي.

والشيخ الأحسائي لا يختلف معهم في هذه النقطة على الإطلاق بل يؤكدها نصه التالي: «اعلم أن التأويل في القرآن لا يجوز إلا ما أخذ عن أهله المخاطبين به محمد وآله الطاهرين صلى الله عليه وعليهم أجمعين، لأن القرآن على خلاف ما تعرفه الناس فإن له ظاهراً وظاهر ظاهر وهكذا باطناً وباطن باطن كذلك ، وليس لأحد أن يقول في القرآن إلا بدليل عنهم عليهم السلام وهو قسمان:

أحدهما وصل إليه من النص من كتاب أو سنة أو ما علم تناوله من معاني الكتاب غير حاصر لمعاني

اقرأ الشيخ الأحسائي(٢)

القرآن فيما علم فإنه إذا دل الدليل عنده على معنى من معاني القرآن وقال هذا المعنى يدل عليه كذا وهو عنده إنه دليل غير ذلك غير مكلف له الغرض له في ذلك ولا غير، عالم بأنه دليل في ذلك المعنى فقد جاز له بشرط أن لا يحصره فيما علم فيقول ليس للآية معنى غير هذا، وأما إذا حصر فهو ممن فسر القرآن برأيه» (٤).

نلاحظ هنا تأكيد الشيخ الأحسائي للمعنى الظاهر مع اللغويين..ولكن مع اعترافه بصحة تفسير علم اللغة للنص القرآني..إلا أنه يحذره من الجزم بالقول أن تفسيره هذا هو التفسير الوحيد للظاهر القرآني وأن هذا الظهور محصور في العلم الفلاني دون غيره..والسبب في ذلك كون الشيخ الأحسائي

---

(٤) الأحسائي ، أحمد بن زين الدين ، رسائل الشيخ، ط١ — ٢٠٠٠م جامع الإمام الصادق عليه السلام الكويت ص ٢٠٧ ج١.

يرجع إلى أصل عقيدي يوجب عقلاً وشرعاً مرجعية أهل البيت عليهم السلام في تأول القرآن وتفسيره وإنه مهما بلغ العقل البشري من الدقة والنضج، فهو يبقى محتاجاً إلى التكميل من قبل رسل الله وأوصيائه.

من هنا نجد فرقاً آخر عند الشيخ الأحسائي عن غيره ممن لا يؤمنون بالقرآن وأهل البيت عليهم السلام: حيث إن الشيخ لا يكتفي بعقله في إضاءة النص الديني، بل يعتمد عليه من خلال مسار روايات أهل العصمة عليهم السلام. من دون إلغاء لإمكانات العقل البشري.

بينما النقطة الأخرى المتعلقة بالمعنى الخفي والتي تكون أساساً محط نظر المؤول، هي نقطة انطلاق نحو التعريف الاصطلاحي، الذي بدوره، أي تطبيق هذا التعريف على النصوص محل معترك

المدارس بشتى مذاقاتها الفلسفية والكلامية والتفسيرية واللغوية.

التعريف الاصطلاحي:

تركنا البحث في النقطة الثانية من العنوان السابق إلى هذا العنوان..لأن محور بحثها في الأصل في إطار البحث الاصطلاحي لأفهوم التأول.

لقد بدأ أفهوم التأول أول ما بدأ ويعني: « من التفسير والتأويل إظهار أو كشف المراد عن الشيء المشكل» (٥). ولا يخفى علينا ما في هذا التعريف من الدلالة الفضفاضة..حيث أن الأمر المشكل كما يكون في التأويل يكون في التفسير، فهذا التعريف يزيد التأول غموضاً، لا وضوحاً فيكون التعريف بالأخفى، لا بالأجلى.

---

(٥) الموسوعة الفلسفية العربية ، ج ١ص ٢٠٧.

من هنا نجد شبه إجماع من قبل علماء التفسير على أن التأول غير التفسير، فالتأول ينصب عادةً على الجمل والمعاني بينما التفسير ينصب على شرح الألفاظ (٦).

والعلة في ذلك كون الألفاظ مرجعها هو اللغة، والتأول قام به جماعة كثيرة سواء على مستوى الفيلسوف الواحد أو المدرسة أو التيار.

ويحدد ابن رشد الفيلسوف الأندلسي أفهوم التأول فيقول: « إن معنى التأويل إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخلَ في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عددت في تعريف أصناف

---

(٦) المرجع السابق، ج١ ص ٢٠٧.

الكلام المجازي» (٧) ويحدد الجرجاني: « إن التأويل في الأصل الترجيع، وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿ يخرج الحي من الميت ﴾، إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلا (٨)».

إذن«يمكن القول بأن علماء اللاهوت بوجه عام حينما يفسرون الكتب المقدسة تفسيراً رمزياً القصد منه تجاوز ظاهر الشيء إلى باطنه، وحقيقة فإن هذا يعد تأويلا من جانبهم (٩)».

---

(٧) المرجع السابق ،ج١ ص ٢٠٧ .

(٨) المرجع السابق ، ج١ص ٢٠٨ .

(٩) المرجع السابق ، ج١ ص ٢٠٨ .

ويرجع الفقهاء في الأغلب أفهوم التأويل سواء كان في الآية أو الحديث إلى معنى غير المعنى الظاهري(١٠).

نستنتج من تلك التعاريف العناصر التالية:

التأويل ينصب على الجمل والمعاني.

التأويل هو صرف الظاهر إلى معنى آخر باطن أو خفي أعمق منه أو أصح .

التفسير يختلف عن التأويل حيث التفسير يشرح الألفاظ والتأويل ينصب على الجمل والمعاني.

إن صرف الظاهر إلى المعنى الماورائي أو الباطني يحتاج إلى دليل محكم.

والشيخ يعترف ضمنا من تعريفه بتلك الشروط والتعاريف حيث يقول في شرح المشاعر: « وأما

---

(١٠) المرجع السابق ص ٢٠٨ ج ١.

اقرأ الشيخ الأحسائي(٢).

التأويل الذي أشار إليه المصنف فالمراد به ما سوى الظاهر كما هو معروف بين أكثر العلماء وأحاديث أهل البيت عليهم السلام كثيراً ما يعبر فيها عما سوى الظاهر بالتأويل (١١)».

ولكن الشيخ يختلف معهم في العنصر الرابع الذي ذكرناه، وهو صرف الظاهر إلى معنى ماورائي سليم بدليل محكم .

من الواضح لكل ذي بال أن التأول سيكون وفق الإطار العقائدي والعقلي للمؤول من هنا يؤكد الشيخ أحمد في كلامه على أن مرجعية المؤول يجب أن تكون من أهل البيت عليهم السلام وأي خروج عن تلك المرجعية ومحاكمة أي نص بعيداً عن تلك المرجعية سيؤدي إلى الضلال والغوص بعيداً عن المراد

---

(١١) مرجع سبق ذكره ، شرح المشاعر ، ص ٢٥ .

يقول (قده): « والغاية إنما يصح القول به من أتباع أئمة الهدى عليهم السلام بأن يكون يسلك طريقهم ويقتدي بهم ويجعل قولهم دليل عقله في كل شيء وأما من يأول كلامهم على ما يطابق رأيه فإنه لا يهتدي إلى الصراط المستقيم (١٢)».

و يقول أيضاً (قده): « أقول: اعلم أن التأويل في القرآن لا يجوز إلا ما أخذ عن أهله المخاطبين به محمد وآله الطاهرين صلى الله عليه وعليهم أجمعين، لأن القرآن على خلاف ما تعرفه الناس فإن له ظاهراً وظاهر ظاهر وهكذا باطناً وباطن باطن كذلك، وليس لأحد أن يقول في القرآن إلا بدليل عنهم عليهم السلام (١٣)».

---

(١٢) مرجع سبق ذكره ، شرح المشاعر ، ص ٤٦٤ .

(١٣) مرجع سبق ذكره ، رسائل الشيخ أحمد بن زين الدين، ص٢٠٧ج١.

فنجد من تأول خلافا لمرجعية أهل البيت عليهم السلام وتحت نظر المنطق الأرسطي، من تأولوا قدم الإرادة حيث الرواية الواردة في توحيد الصدوق (قده) صريحة في حدوث الإرادة والإشاءة الإلهية وإليك نصها عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «المشيئة والإرادة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله تعالى لم يزل مريداً شائياً فليس بموحد (١٤)». وذلك لأن عقلهم النظري المشبع بالتسلسل الأرسطي لم يعقل إلا حدوث التسلسل على الشكل التالي:

إذا كانت الأشياء خلقت بالمشيئة .

والمشيئة مخلوقة كما هو صريح الرواية.

هذه المشيئة المخلوقة إما من ضمن المخلوقات فتحتاج إلى مشيئة أخرى تخلقها وهكذا ينتقل

---

(١٤) توحيد الصدوق ، ص ٣٣٨ .

الاستفهام نحو المشيئة الخالقة الجديدة، إما خالقة وفي نفس الوقت هي مخلوقة فتحتاج إلى مشيئة جديدة وهكذا حتى ما لانهاية له فيتم التسلسل العقلي الممتنع في المنطق.

وحتى يتخلصوا من هذا النفق المظلم الذي أدخلهم فيه التسلسل. قالوا: إن الإرادة صفة ذاتية والذات المقدسة خالقة غير مخلوقة.

والمدقق في الرواية وفق مرجعية أهل البيت عليهم السلام لا يجد تسلسلا في قضية الإرادة والإشاءة. حيث بالأساس النصوص المطلقة في العقيدة الإسلامية تقول مجمعة على أن الذات الواجب منزهة من التباشر والتجانس للإمكان . فكيف استطاع هؤلاء المتفلسفة على عكس القضية من الأساس بسطوة المنطق الأرسطي المغلوط.

إن من الغريب أن تكون " أورقانونة " أرسطو هي الميزان الجديد لعقيدة المسلمين عوضاً عن القرآن.

وإذا أردنا أن نجعل الرواية بمنطوقها منطقية وفق اصطلاحهم من خلال النصوص والتصورات العقلية فإن ذلك ممكنا على الشكل التالي، وحتى لا نطيل عليك سننقل نص الشيخ نفسه يقول (قده) موبخاً الفلاسفة ومستدلاً على حدوث المشيئة: « فيا سبحان الله ما الموجب لميلكم إلى قدم المشيئة مع أنكم لم تمضوا إلى الأزل فتشاهدوا إنها قديمة وإنها عين ذاته ولم يخبركم بذلك وأنتم تقرون بأنه لا يعرف إلا بما عرف به نفسه ولم يعرف نفسه إلا على ألسن أوليائه وأولياؤه كلهم اتفقوا على كون مشيئة الله حادثة وإنها ليست عين ذاته فما أدري ما الذي حداكم على هذا إن كان لكم حاصل وفائدة

تحصلونها من القول بقدمها بخلاف ما قال نبيه وأهل بيته عليهم السلام فربما يحصل لكم عذرٌ لئلا تفوت عليكم الفائدة وإلاّ فأئمتكم عليهم السلام علماء لا يجهلون وحكماء لا يهملون وذاكرون لا ينسون وناصحون لا يغشُّون يشهدون أن الحق معهم وبهم وأن كل من خالفهم فهو على باطل من أمره فما بالكم تتركون كلامهم الحق وتأخذون بكلام أعدائهم ولا تسلمون لهم ولا تردون إليهم وأنتم تعلمون فمن أراد الاحتجاج على ذلك من جهة العقل فلينظر إلى احتجاج الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي كما في الاحتجاج للطبرسي (قده) والتوحيد وعيون أخبار الرضا للصدوق(قده) فإن العاقل لا يجد للعقل فيما قرر عليه السلام عن حدوث المشيئة والإرادة مجالاً وذلك لأني أنا إذا قلت بحدوثها حجتي الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام والدليل العقلي على

اقرأ الشيخ الأحسائي(٢)..

معنىً للإرادة معقولٍ لي لأن المعنى المحدث يمكن للعقل إدراكه وأنتم إذا قلتم بقدمها كانت الأخبار عنهم عليهم السلام كلها مخالفة لكم ليس لقولكم فيها مستند ولا لعقولكم مدرك فيها تدعون لأنكم تثبتون قديماً والقديم لا يتعقل فإذا تعقلتم فإنما فهمتم حادثاً وأدركتم مصنوعاً وليس لكم مأوى ولا موئل إلا أنه تعالى يخبركم بذلك والواسطة بينكم وبينه أخبركم بخلاف ما قلتم فأين تذهبون وأما أدلة المجادلة بالتي هي أحسن فهي في هذه المسألة لنا لا لكم فإنكم قلتم أن المشيئة صفة والصفة لاتقوم بنفسها ولا بغير موصوفها فإذا قامت بموصوفها وكانت حادثةً كان محلاً للحوادث ونحن نقول هي صفة والصفة تقوم بغير موصوفها كالكلام يقوم بالهواء ولا يقوم بالمتكلم وتقوم بنفسها كما قررتم إن الذوات الحادثة صفات للذات القديمة وهي قائمة

بنفسها لأنه أقامها بنفسها وكذلك المعلولات في الحقيقة صفات العلل وهي قائمة بنفسها وأيضاً إذا سلمنا أنها تكون قائمة به، تكون قائمة قيام صدورٍ لا قيام عروض كالأشعة مع المنير ولو سلمنا استدلالكم كان أيضاً حجةً ناقصة لقولكم لأن قولكم لو كانت حادثة كان محلاً للحوادث فتقول وإن قديمة يكون محلاً للقديم المغاير له فإن قلتم هي ليست مغايرة قلنا هي مقترنة بالمراد وذاته غير مقترنة وهي خاصة أي علمٌ خاص وذاته غير خاصة وهي تقترن بالنفي كما قال تعالى: ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾. (١٥) وذاته لا تقترن بالنفي وهي على طبق المراد والمراد على طبقها وذاته لا تطابق شيئاً ولا يطابقها شيء وهي لها ضد فهو

---

(١٥) سورة المائدة / ٤١ .

مريد وكاره وذاته لا ضد لها وهي لها وجه خاص بالمراد فإن إرادة إيجاده لزيدٍ غير إرادته لعمروٍ وذاته ليست كذلك وأمثال هذه مما نعقلها من صفات الخلق التي قد اتصفت به وأنتم لها تعقلون صفات الحق تعالى لتصفوها بها وتجدوها فيها والوجه الثاني إنكم قلتم لو كانت حادثة لكانت محدثة بإرادة غيرها وتنقل الكلام إلى هذه وهكذا ويلزم الدور أو التسلسل ونحن نقول الإمام عليه السلام قد أجاب عن هذا الخطاب بما فيه كفاية لأولي الألباب فقال إن الله سبحانه خلق المشيئة ثم خلق الخلق بالمشيئة فأبطل عليه السلام الدور والتسلسل وقد تتبعنا جميع الأفعال فوجدناها كلها محدثة بنفسها مثل حركة يد الكاتب أحدثها بنفسها ثم أحدث الكتابة بها وبيانه إن حركة يد الكاتب محدثة والمحدث يحتاج إلى حركة يحدث بها حركة يده مثلا فإن

قلت إن حركة يده محدثة بحركة غيرها نقلنا الكلام إليها حتى يعود أنها أحدثها بنفسها لأنها حركة والإيجاد حركة ولا يحتاج الوجد إلى غيرها فيحدثها بها ويرتفع الدور والتسلسل (١٦)».

وبصورة أخرى لهذه القضية الطويلة نقول: إن المفعول تارة يكون مفعول بالذات بمدد الله بلا كيف وهذا ما نسميه بالإبداع، وتارة يكون مفعولاً بالواسطة، أي بواسطة فعل الله،الذي هو مشيئة كما عن الصادق عليه السلام :«خلق الله المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة».(١٧) ويمكن توضيح ذلك من خلال الرسم البياني التالي:

---

(١٦) مصدر سبق ذكره ، ص٣٩٠ .

(١٧) الشيخ الصدوق ، التوحيد ،ص١٤٨ .

(شكل —١)

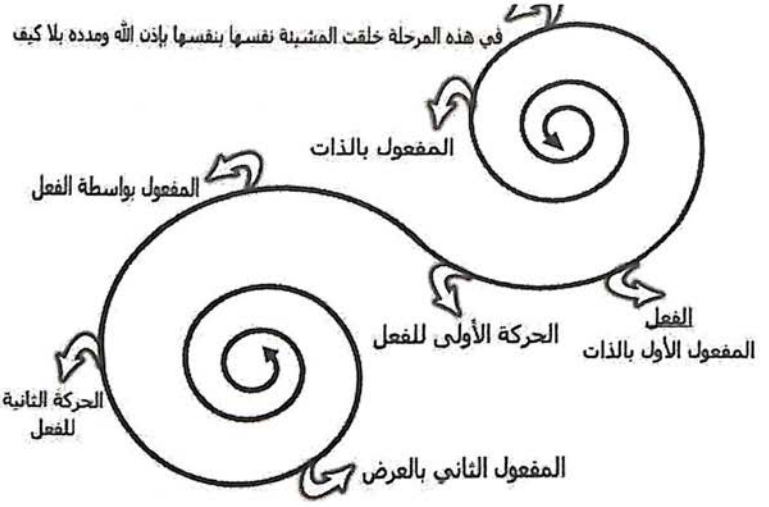

وفي العصر الحديث أنشأ علم التأويل والتفسير (هرفيو طيقا) ببركة البنيوية والتفكيكية كمدرستين امتدتا لأغلب العلوم الاجتماعية والطبيعية ومن أبطالها (ليفي ستروس وبول ريكر) ولهذا العلم

أهمية في قراءة النص بجميع أنواعه سواء كان فلسفياً أم أدبياً أو غيرهما.

والمعتنقون لهذا العلم لا يفرقون بين التأويل والتفسير فكلاهما نتيجة واحدة فنستطيع أن نستنتج أركان مشتركة بينهم كالتالي :

لا يوجد فرق بين التأويل والتفسير .

النص يمتد قدر الإمكان لتفسير الوجود والإنسان.

إن الهرفيوطيقا هي فن القراءة .

إن الحياة الإنسانية كنوع من النص يمكن قراءته.

يقوم منهج هذا العلم على ركيزتين:

أ-معنى ظاهر للنص.

ب-معنى خفي للنص.

نافذة على أفهوم التأويل

من الواضح أن المعتنقين لهذا العلم رغم إيمانهم بالتأول إلا أنهم يختلفون مع الشيخ الأحسائي في الفرق بين التأول والتفسير. وثانياً: كون مرجعيتهم في فهم النص بالأساس تعتمد على التأمل فقط . أما شيخنا فيعتمد التأمل العقلي وفق مرجعية أهل البيت عليهم السلام.

وثالثاً: امتداد النص عنده مشروط بامتداد رؤية أهل البيت عليهم السلام للنص وليس اعتباطياً.

ورابعاً: التأويل وإن كان يحتاج للممارسة إلا أنه علمٌ تبعاً لعلم الحكمة القرآني وليس فناً للقراءة.

وخامساً: قد سبقهم الشيخ في كون الوجود والحياة الإنسانية مؤلفة كالنص يمكن قراءته.

أما النقطة الخامسة فقد ناقشناها آنفاً.

٣

ـ الشيخ الأحسائي بنيوي أم تفكيكي؟

إذا كانت البنيوية تعتمد في تأولها على ثنائية الظاهر والخفي ووحدة الدال والمدلول(١)، فإن الأحسائي يرى هذه الثنائية ككونها ظاهر وخفي، لا لكونها ثنائية كمدلول لغوي صرف، أي أن الظاهر واحد والباطن واحد، بل هناك تعدد في الظاهر وتعدد في الباطن وتعدد في الدال والمدلول، وهذا التعدد في الدال

بوحدته، تكون على نحو إفادة الدال مطابقة لإفادة المدلول ... ولكن من حيث طبيعة الدال والمدلول فهما مختلفان من حيث هذا ملفوظ أو منطوق وذاك واقع حقيقي بجميع أنواعه، سواءٌ أكان الواقع جملة أم شجرة أم بحراً فكلهم في ظرف الواقع.

رسم بياني شكل ـ ٢

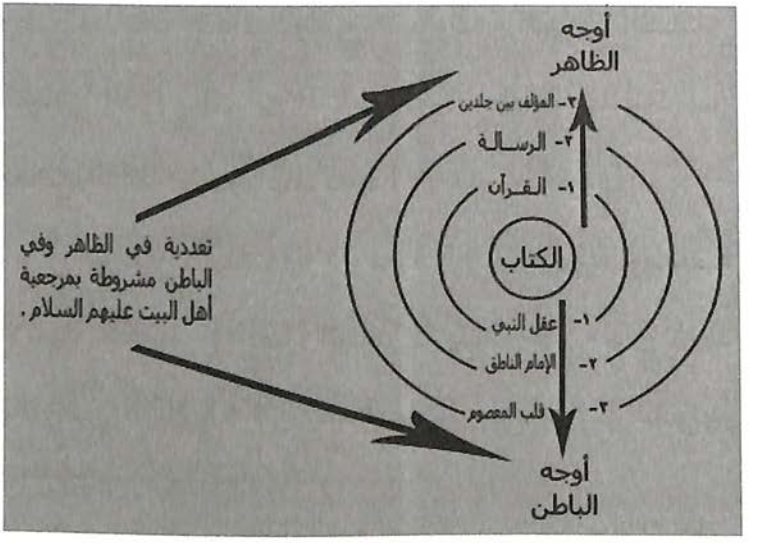

الشيخ الأحسائي بنيوي أم تفكيكي؟

يقول الشيخ الأحسائي رضوان الله عليه «أقول: اعلم أن التأويل في القرآن لا يجوز إلا ما أخذ عن أهله المخاطبين به محمد وآله الطاهرين صلى الله عليه وعليهم أجمعين، لأن القرآن ليس على ما تعرفه الناس فإن له ظاهراً وظاهر ظاهر وهكذا باطناً وباطن باطن كذلك...(١)».

ويقول الشيخ الأحسائي في شأن الفكرة الأخرى وهي مطابقة الدال للواقع المدلول: « الدليل الكشفي العياني الذي يخبر به المستدل بعد معاينة ما أراد من معاني ألفاظه لا مجرد الألفاظ (٢)».

ويقول أيضاً: « إن معرفة الله تعالى، ومعرفة الأشياء كما هي في أصل البدء، لا يُنال شيء من ذلك بالقوانين المنطقية؛ لأن المنطق مبني على مدارك عقولهم

---

(١) مصدر سبق ذكره، رسائل الشيخ أحمد بن زين الدين ص٢٠٧ ج١.

(٢) الأحسائي، أحمد بن زين الدين ، شرح الفوائد، ط حجرية، ص٤.

الاكتسابية، وعلى ما يفهمون من دلالة الألفاظ؛ وضعها الله سبحانه وتعالى بعلمه كما أطلع عليه أهل العصمة (عليهم السلام) وقد أخبروا أنها على سبعين وجهاً، واللغة التي يتعاطونها الناس وبني عليها علم المنطق، وجهٌ واحد من سبعين، فكيف يكون عقل أسسوا مداركه على وجه واحد من سبعين يَعرِف شيئاً أصله مبني على سبعين وجهاً (٣)».

- إذا لم يكن الأحسائي بنيوياً، أو بنيوياً بعض الشيء ولكن ليس تماماً.

فهل الأحسائي في مقولاته الفلسفية وافق فلاسفة التأويل التفكيكيين؟

لنرى ذلك :

---

(٣) مصدر سبق ذكره ، شرح المشاعر ،ص٥٥ .

الشيخ الأحسائي بنيوي أم تفكيكي؟

إذا كانت البنيوية توحد ما بين الدال والمدلول، فالتفكيكية تفصل ما بينهما قدر الإمكان، فإذا كانت الثنائية في البنيوية محدودة إلى درجة الوحدة والاتحاد فالتفكيكية ثنائيتها لا محدودة قدر الإمكان... إذن التفكيكية هي التدمير لبنية اللغة إلى أصغر جزء ممكن فيها. من هنا قالوا عنها الفوضى أو أنها تحقق الفوضى والتدمير، كالتي أحدثتها قنبلتا (هروشيما ونجازاكي) بل الحرب العالمية الثانية كانت سبباً في نشوء التفكيكية، فبادئ ذي بدء لا يرى الأحسائي هذا التفكيك اللامتناهي لبنية النص دون ضوابط أو حدود. فالتأول لوجوهٍ لا متناهية في حدود الإمكان إذا كان وفق قانون ومرجعية حسب الإطار الإيديولوجي للمفكك أو المؤول، فثنائية الحضور والغياب اللامتناهي لا يراها شيخنا إلا وفق مرجعية أهل البيت عليهم السلام وليس وفق عبثية العقل البشري غير المنضبط.

الشيخ الأحسائي بنيوي أم تفكيكي؟

يقول (هيدجر) في شأن اللغة الذي يعبر عنها بالشعر:

« هو فعل أصيل للإنشاء، نشاط التسمية الأولى، وما ينشأ أو يسمى هنا، ليس ما هو معروف بالفعل أو ما هو موجود بالفعل... إن الشعر هو التسمية الأولى للوجود وجوهر كل الأشياء (٤)» من خلال هذا النص نفهم إن «هيدجر» يقف عند أبعد نقطة في الفصل بين الدال والمدلول، واللغة عنده ليست مستقلة وذاتية فقط بمعنى أنها سابقة على الأشياء في الواقع الخارجي، لكنها سابقة الكينونة أيضاً، ثم هي، أي اللغة وسيلة للكينونة للتعبير عن وجودها وحضورها.

---

(٤) حمودة، عبد العزيز ، المرايا المحدبة ، ط١، ١٩٩٨ سلسلة عالم المعرفة ، عدد (٢٣٢) الكويت ، ص٣٠٢.

وإذا ناقشنا كل مفردة في هذا النص على ضوء رؤية الأحسائي للغة والمفاهيم كلاً على حدة كالتالي:

أ) أما في فصله بين الدال والمدلول فقد ناقشناها آنفاً بالتفصيل.

ب) أما عن استقلالية اللغة وذاتيتها ، فإن كان قصده أن اللغة سواء أكانت رمزاً ذهنياً أو صوتاً ملفوظاً مستقلة تمام الاستقلال عن الوجود الخارجي وعن الكينونة، بحيث أن في استطاعتها النماء بمعزل عن العالم الخارجي فهذا باطل بالبديهة ونماء فلسفي في الخيال. أما اللغة لكونها أصواتاً ملفوظة فهي جزء من العالم الخارجي .

وأما كون اللغة رموزاً ذهنية، فهي تستطيع النماء ولكن ليس بمعزل عن الواقع الخارجي، لكون اللغة تصوراً بشرياً والتصور البشري برأي الأحسائي مرهون

بالعالم الخارجي حتماً وليس اختياراً. وذلك للأمور التالية:

١- كون الذهن البشري ورغم قدرته على التركيب اللامتناهي للصور والرموز في الذهن، إلا أنه لا يستطيع تصور أو تركيب إلا ما رآه في العالم الخارجي.

٢- الذهن البشري لا يستطيع تصور شيء من غير جنسه.

يقول الشيخ الأحسائي: « أقول: يقول في جوابه إنا قد قررنا بالدليل المتقدم إن الوجود فرد خارجي متحقق والذي ينقل إلى الذهن مفهومه العام الانتسابي العارض للمفاهيم الارتباطية للمحمولات وهو انتزاعي بخلاف المدعى فيه فإنه متحققٌ في الخارج إذا طلبت حقيقة بالعلم كان إشراقياً حضورياً يعني أن العلم به عين حصوله للعالِم ووجوده له بعين وجوده لذاته، فالعلم به

نفس تحققه في نفسه فهو شهودي عيني(٥)». ويقول أيضاً(قد): « وأما على قولنا هذا فلا يتوجه السؤال أصلاً إذا تصوّره يوجب ثبوته وتحققه عندنا خارجاً لأن ما في الذهن لا يكون إلا منتزعاً من الخارجي وقد قدمنا بيان هذا وبرهانه القطعي الوجداني على جهة الإشارة من أنك لا تقدر أن تتصور شيئاً رأيته قبل يوم التصور إلّا في مكان رؤيته ووقتها بأن تلتفِت بمرآة خيالك إلى مكان الرؤية ووقتها فترى شبح الشيء المتصور بهيئته وصفته التي رأيته عليها في كل زمان ومكان لا تذكره بأن تتصوره إلا أن ترى شبحه هنا في تلك الهيئة فتنتقش صورته في خيالك ولا تقدر على تصوره بدون ذلك وهذا هو الدليل على أن جميع ذلك المتصور في الذهن كله انتزاعي فمن ادّعى أنه أصلي فنطلب منه أن يتصور

---

(٥) مرجع سبق ذكره، المشاعر، ص٢٤٧.

شيئاً رآه في الزمان السابق من غير أن يلتفت إلى مكان رؤيته ووقته فإن قدر فله أن يدعي بأنه غير منتزع وإن لم يقدر فليعلم أنه منتزع(٦)».

ت- كون اللغة سابقة على الأشياء، وهنا أيضاً لا يؤمن بكون اللغة سابقة على الأشياء ولا متأخرة عنها، بل مساوقة لها..لأن اللغة التي هي الرموز الذهنية لا يمكن أن توجد إلا بإزاء تلك الأشياء مسمياتها أو حتى في التركيب الأسلوبي الذهني أو الملفوظ، فلا يمكن أن نتصور كون اللغة علة الأشياء الخارجية وسابقةٌ عليها . لأنها جزءٌ من الوجود الخارجي في أصلها والشيء لا يكون موجوداً ومعدوماً في آن للزومه الدور والتسلسل الأرسطي. يقول الشيخ الأحسائي: « ولو أريد من السؤال القياس الاقتراني لم يلزم تخصيص التصور بالساذج

---

(٦) المصدر السابق ص٢٤٦.

ليتعدد الوسط بل يؤخذ الأعم منه ومن التصديق فلا يدخل الشك في الوسط وإنما الشك في الأكبر من اللازم، أي أنا نتصور الوجود بذلك المعنى ونشك في كونه موجوداً فلو كان موجوداً لزم أن يكون له وجود زائد عليه وهكذا وهكذا ويتسلسل لكن قول المصنف أن للوجود فرداً خارجياً هو حقيقته وهو موجود بنفسه لا بوجود زائد عليه مع أن حقيقته لا يدرك كنهها ليتصور ويكون مكتنهاً بذهن غير تام في الجواب إذ لا يستلزم التصديق تصور الموضوع بالكنه بل يكفي أدنى تميز يعينه ليكون الحكم على موضوع معين والباقي دعاوى يلزم منها المصادرة وقيل لعل المصنف حمله على الاستثنائي فيفرض حاصل السؤال أن الوجود لو كان موجوداً في نفسه لما شك في وجوده حين تصوره لكن بعد تصوره نشك في وجوده فعلى فرض وجوديته يجب أن يكون وجوده زائداً عليه فيتسلسل فأورد الجواب بإبطال

التالي في قوله حقيقة الوجود لا تحصل بكنهها في ذهن من الأذهان الخ يعني إنه لا يمكن أن نتصور ليرتب الشك في وجوده على التصور (٧)».

ث- بقي كون اللغة سابقة على كينونة الوجود، وهذا باطل غير صحيح، فاللغة لا تشكل حقيقة الوجود وتوجدها، بل الكينونة مع الوجود واللغة متساوقةٌ، فالشيء لا ينوجد ويكون شيئاً إلا وحقيقته المميزة له عن غيره من الأشياء معه فالإنسان لا يكون إنساناً إلا بحقيقته وباسم من اللغة في قباله على الأقل عند من أوجده وكونه . يقول الشيخ الأحسائي (قده):

«وأنت خبير بأن الفائض الأول إنما أطلق عليه الوجود الذي هو صورة المصدر لأنه الصادر من جهة أن ذلك الحصول في مقابلة عدمه فأطلق على الموجود

---

(٧) المصدر السابق ، ص٢٤٨ .

مبالغة في مناسبة التسمية به لأن الموجود إنما هو شيء بالإيجاد والإيجاد معنى فعلي والموجود معنى مفعولي والمصدر يصدق عليه لأن المفعول ثمرة الفعل وأثره فكل صادرٍ أولاً وبالذات يكون أحق باسم الوجود الذي هو في الأصل حدوث حصل من الإيجاد وإذا قطعنا عن الأقوال والاصطلاحات ظهرت لنا الأشياء بما ألبسها الله سبحانه من الاسم وإذا نظرنا إليها بنظر ما قيل فيها وما اصطلحوا عليه ومن العبارات لمطالبهم واختصاراً في التعبير ظهرت الأشياء لنا بما ألبسوها من حلل مراداتهم ولم نر عليها الحلل التي ألبسها جاعلها (جل وعلا) فلأجل هذا غطت العبارات أغلب الحقائق عن أبصار الناظرين فبهذا النظر لم نعرف إلا ما قالوا وهم بعضهم من بعضٍ (٨)».

---

(٨) المصدر السابق ، ص٣٣٨ .

٤

ـ شروط المُؤَوِل كما يراها الأحسائي.

هنا جملة من الشروط يعرضها الأحسائي يجب أن تكون متوفرة في المؤوِل للقرآن والسنة الشريفة.

وهذه الشروط ليست اختيارية بل إجبارية وبدونها لا يمكن للمؤوِل خوض بحر التأول الهائج بأمواج الفتن والمشاكل والأفكار اللامتناهية، فلذلك حرْق مراحلها يكون مقدمة للتمكن من التأول هي:

شروط المُؤَوِل كما يراها الأحسائي

١-أن يعرف القرآن (١).

٢- أن يعرف أصول التوحيد وصفات الله وما يصح عليه وما يمتنع عليه.

٣- وأن يعرف ما يصح به الاعتقاد في أفعاله.

٤-أن يعرف أوامره ونواهيه والمرادات له من عباده.

٥- ونوع الحكمة والصنع والتكاليف .

٦- ونوع حكمة الإيجاد والقدر والبداء والمنزلة بين المنزلتين وما أشبه ذلك.

٧- أن يعرف النبوة لمحمد صلى الله عليه وآله والإمامة لأهل بيته عليهم السلام ووصاية الأوصياء عليهم السلام.

٨- أن يعرف أحوال التكاليف والموت والبرزخ وأحوال الآخرة .

---

١) تجد كل تلك الشروط في، المصدر السابق، رسائل الشيخ، ص٢٠٩ج١.

شروط المُؤَوِل كما يراها الأحسائي

كل ذلك ولو بالاطلاع على نوع المسألة، يقول الشيخ بعد ذلك: « فإذا وصل الشخص إلى هذه الرتبة بالعلم العياني القطعي الضروري جاز له ذلك أيضاً، لأنه إذا لم يعلم نوع علم هذه المسألة التي أول الكتاب عليها بالعلم القطعي العياني البرهاني جاز أن يقول هذا ما لا يريده الله سبحانه، وإن عَلِم عِلْم نوع هذه المسألة بالعلم البرهاني القطعي لأنه يجوز أن تكون هذه المسألة خارجة بمخصص من مانع أو مقتضٍ أقوى وأنه لم يره بخلاف العلم العياني فإن صاحبه يشاهد كل فرد من أفراد هذا النوع في محله على ما هو عليه أو أنه لم يره فإذا رآه رآه (٢)».

---

(٢) تفسير العياشي، ج١ ص١٢.

٥

ـ أمثلة تطبيقية لمنهج الشيخ في التأويل.

لنترك الشيخ يورد لنا أمثلة تطبيقية، يقول (قد): «كما هو مثال ذلك فيما نحن فيه في كون المراد من (فضة) في الآية الشريفة هل المعدن أو فضة أمة فاطمة عليها السلام؟.

فعلى الوجه الأول وهو أن المؤول إذا كان عنده دليل عنهم عليهم السلام أومن الكتاب أو اللغة سلمنا وجوده

أمثلة تطبيقية لمنهج الشيخ في التأويل

فإن قلت: أن المراد أمة فاطمة عليها السلام، فإن كان عندك دليل خاص في ذلك جاز في أصل المسألة ولكن قلنا بشرط عدم الحصر، فإن قلت: عندي إن المراد به أمة فاطمة عليها السلام وحصرت مراد الله فيها فهو خطأ، فإن الله سبحانه أراد المعدن الخاص ولو على فرض دليل خاص على ما أولنا هذا لأن ظاهر القرآن حجة لمن لا يحصر الفهم فيه فقد روى العياشي بإسناده عن جابر قال: « سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء في تفسير القرآن فأجابني، ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر فقلت: جعلت فداك، أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم فقال لي: يا جابر، إن للقرآن بطناً وللبطن ظهراً، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها

في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل ينصرف على وجوه(١)».

وغير ذلك مما هو صريح في عدم جواز حصر القرآن في شيء واحد، حتى أن المفهوم من أخبارهم عليهم السلام أن الإمام عليه السلام قد يحصر الآية في معنى واحد وليس بمحصور فيه ولكن من حصر له الإمام وجب عليه القول بالحصر لأنه إنما حصر له لأن المقام اقتضى من السائل أو من السامع أو ممن علم الإمام عليه السلام وصول ذلك إليه، بمعنى أن من حصر الإمام عليه السلام لأجله في شيء مخصوص يزعم بأنه غير مراد فبين عليه السلام أن المراد هذا ما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿**ثم لتسئلن يؤمئذٍ عن النعيم**﴾(٢) روي فيها

---

(١) مجمع البيان، ج٣ص٢٢١.

(٢) التكاثر / ٨.

أنهم يسألون عن خمس، شبع البطون وبارد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق، وفي المجمع عنهما عليهما السلام « هو الأمن والصحة(٣)» وفي العيون عن أمير المؤمنين عليه السلام«الرطب والماء البارد(٤) ». وفي أمالي الطبرسي عنه صلى الله عليه وآله كذلك، وفي الفقيه عنه عليه السلام « كل نعيم مسؤول عنه صاحبه إلا ما كان في غزو أو حج(٥) » وفي الكافي عن الصادق عليه السلام « من ذكر اسم الله على الطعام لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام(٦) ». وروى في العيون عن الرضا عليه السلام قال: « ليس في الدنيا نعيم حقيقي، فقال له بعض الفقهاء ممن حضر فيقول

---

(٣) عيون أخبار الرضا ج٢/٣٨ .

(٤) الفقيه ج٢/ ٢٢١ .

(٥) البحار ج٦٦ص٣٦٧.

(٦) عيون أخبار الرضا ، ج٢ص١٢٩.

إلله: ﴿ثم لتسئلن يومئذٍ عن النعيم﴾. ما هذا النعيم في الدنيا الماء البارد، فقال له الرضا عليه السلام وعلا صوته: كذا فسرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب، فقالت طائفة الماء البارد، وقال غير هو الطعام الطيب، وقال آخرون هو طيب النوم، ولقد حدثني أبي عن أبي عبد الله عليه السلام أن أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله عز وجل: ﴿ ثم لتسئلن يومئذٍ عن النعيم ﴾. فغضب عليه السلام وقال: إن الله عز وجل لا يسأل عباده عما تفضل عليهم به ولا يمن بذلك عليهم، والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف إلى الخالق عز وجل ما لا يرضى المخلوق به، ولكن النعيم حبنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عباده عنه بعد التوحيد والنبوة لأن العبد إذا وفى بذلك أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول».

أمثلة تطبيقية لمنهج الشيخ في التأويل

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية «إن الله عز وجل أكرم وأجل أن يطعمكم طعاماً فيسوغكموه ثم يسألكم عما أنعم عليكم بمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله(٧)» . انظر كيف حصر الصادق عليه السلام النعيم في الآية فيهم وفي موالاتهم مع ورود غير ذلك عنهم عليهم السلام، كما سمعت بعضه وذلك لما قلنا فإن هؤلاء ينكرون تناول النعيم لهم وفي الواقع هم المرادون بالآية في الحقيقة وغيرهم مما سمعت مراد بها بالتبعية والفرعية، فحصر لأجل تأصلهم في النعيم وفرعية ما سواهم في مقابلة دعوى الأعداء عدم كونهم عليهم السلام مرادين من الآية وكون ما سواهم ما سمعت متأصلاً في الآية، لأن ما يدعونه من السؤال عن النعيم ليس بصحيح كما قال عليه السلام، وأما الصحيح

---

(٧) الكافي ج٦ص٢٨٠ .

المسؤول عنه هو شكر هذه النعم من أين اكتسبت ولم فعلت وفي أي شيء صرفت، لا أنه تعالى يسألهم عن نفس هذه الأشياء وكونها طيبة كما توهمها الأعداء، فإذا حصر الإمام عليه السلام الآية في معنى واحد فهو من هذا النوع.

فشرط من يؤول إذا وجد له دليلاً على خصوص معنى ما يؤول عليه ألّا يحصر الآية في ذلك المعنى لأنه ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن وقد روى الحسن بن سليمان الحلي رضوان الله عليه في كتابه المختصر لبصائر سعد الأشعري عن الصادق عليه السلام أنه قال: « أقواماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم

ذلك شيئاً، ولا إيمان بظاهر إلا بباطن ولا بباطن إلا بظاهر(٨)». فكيف يجوز الحصر.

وعلى الوجه الثاني وهو أن المؤول يكون عالماً بعلم نوع المسألة علم عيان لا علم برهان، فإنا نقول مثلاً أن هذا العالم إذا عرف بأن جميع العوالم كشيء واحد يشبه بعضها بعضاً وأن كل ما في هذا العالم فإنه نازل من العالم العلوي من قليل أو كثير ودقيق وجليل وذات وصفة وحال وطبع وإن كل ما هناك فهنا دليله ، كما قال تعالى :﴿ **سنريهم آيتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق(٩)** ﴾ وكذا قوله عليه السلام: « الدنيا مزرعة الآخرة(١٠)».

---

(٨) البحار ،ج١١ص٣٠٢ .

(٩) فصلت /٥٣ .

(١٠) ورام، ج١ ص ١٨٣.

وقول الرضا عليه السلام: « قد علم أولوا الألباب أن ما هنالك لا يعلم إلا بما هنا(١١)». وغير ذلك مع أنه تعالى أخبر في كتابه بقوله: « وإن من شيءٍ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدرٍ معلوم(١٢)». وإنه دل دليل الحكمة المستند إلى القرآن الصريح والنقل الصحيح على أن كون (فضة) أمة فاطمة عليها السلام وإنها تخدمهم وتسقيهم وأمثال ذلك، شيء في خزائن الله نزل منها ظاهره وصورته إلى هذه الدنيا فإذا عادوا إلى الآخرة ومروا على تلك الخزائن التي نزل منها هذا الشيء بصورته في حال صعودهم وعودهم ورجوعهم إلى معبودهم وجدوه بحقيقته وجرى لهم بكنه طريقته حتى يجد قوله تعالى الخاص ينطبق له باللسان العام: « كلما رزقوا فيها من ثمرةٍ رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وآتوا به

---

(١١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص٤٣٨ .

(١٢) الحجر/٢١ .

متشابهاً(١٣)». وكذلك قوله: « **كما بدأكم تعودون**(١٤)» فإن معناه كما تعودون بدأكم وقول الصادق عليه السلام: « ما كل ما يعلم يقال ولا كل ما يقال حان وقته ولا كل ما حان وقته حضر أهله(١٥)». فإذا وجد ذلك العالم بنوع علم المسألة بالعلم العياني لا البرهاني علم هذا ومثله كتمه وإذا وجد أهله أدى الأمانة التي أمره الله تعالى بأدائها إلى أهلها فافهم(١٦)».

---

(١٣) البقرة /٢٥ .

(١٤) الأعراف /٢٩ .

(١٥) ص٥٣ ،ص١٥٥ ج١٣٨ .

(١٦) مصدر سبق ذكره، رسائل الشيخ ج ١ ص٢١٠/ ٢١٦ .

٦

ـ الشيخ الأحسائي وبعض علماء التأويل المعاصرين.

في هذه الفقرة سنتعرض لإشكالية معاصرة تأويلية تربوية في آن.

فهي من ناحية هناك هدم لمنهج التأول الأصيل في الإسلام، وهدم شديد من ناحية أخرى لقيمنا الأخلاقية الإسلامية.

لذلك أتت هذه الفقرة تواكب العصر، والعلم الحديث والحياة المعاشة بشكل مباشر.

الشيخ الأحسائي وبعض علماء التأويل المعاصرين

إذن نحن نتحدث عن مشكلة جديدة تعتبر إذا لم تواجه حتمية النتيجة، وهي عولمة التربية الأمريكية في الوطن العربي والإسلامي. وهذا يعني سحق هويتنا العربية الإيمانية، بما فيها جوهر تربيتنا العربية الإسلامية، وبالتالي تغير شكل اجتماعنا ومجتمعنا بطريقة آلية من بُعد. إذا علمنا أن حصيلة معارف الإنسان وحضارته هي هبة من التربية. وهذا ما تؤكد عليه كل دساتير الشعوب وكل الحركات الإصلاحية دينية وعلمانية. وكذلك في استراتيجيات الشعوب. يؤكده سلباً وإيجاباً الدور الذي لعبته، وتلعبه التربية في مخططات الهيمنة على الشعوب. ويشتد الأمر علينا إذا علمنا أن أزمتنا في الوطن العربي والإسلامي هي أزمة

تربوية كما خلص إلى ذلك الباحث العربي عبد الله عبد الدايم (١).

ومع ثورة الاتصالات وبالخصوص الانترنت كان هناك سهولة في إيصال القوى التغريبية مفاهيمها التربوية إلى الوطن العربي وتركيزهم هذه المرة على النشء، أي عكسوا قاعدتهم التي تربي قمة الهرم من الساسة والمفكرين الخاضعين لهم.

وتتركز قمة رسالتهم التربوية للنشء في تصوير الحياة الأمريكية على أنها الجنة الحقيقية ومنتهى الأحلام المطلق لمن يريد السعادة الحقيقية والتقدم والتخلص من الفقر، وهذا لا شك مرتبط ارتباطاً وثيقاً

---

١) علي، نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي)، ط١، المجلس والوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١م، ص٢٨٩.

بالقيم الأمريكية وعقيدتها عن الحياة الدنيوية وكذلك الآخرة.

وهذا هو الخطر الأول والخطر الثاني هو عولمة الثقافة الأمريكية، أي الأمركة، ومما يساعد على الأمركة انفراد الولايات المتحدة بالعالم، واعتبارها القطب الواحد الذي انتهت إليه الأوضاع السياسية في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. والأمركة تعني انتشار الأزياء والموسيقى والأكل الأمريكي ، وتكون نتيجة ذلك إلغاء الهوية الثقافية، ولكن الخطر الحقيقي في الأمركة نسبية الحقيقة التي تقوم عليها، وهي التي تتصادم تصادماً مباشراً مع ثوابت ديننا المستمدة من النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة، لذلك نجد أن قوى الأمركة تدعم كل من يروج لنسبية الحقيقة، فقد امتدح "بللترو" وكيل وزارة الخارجية الأسبق مجموعة

من الكتّاب العرب، ودعا إلى ترويج كتاباتهم واعتمادها. وإنّ ما يجمع هذه المجموعة هو إيمانها بنسبية الحقيقة، وتفسيرها النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة الذي يتناول ثوابت الدين الإسلامي: العقائد، والحدود، والميراث، وتشريعات الأسرة: كالزواج، والطلاق إلخ... على أنه انعكاس لبيئة العرب الجاهلية، وربطهم بينه وبين الواقع الجاهلي، من هنا فنحن لسنا ملزمين به وعلينا أن نفسر هذه النصوص على ضوء واقعنا الجديد، ونعطيها مضموناً آخر وبعداً جديداً، أي بمعنى ثبوت النص وتغيّر المعنى، وبالإضافة إلى ذلك فإن الحوارات الفكرية التي دارت أخيراً هي تجسيد للصراع بين نسبية الحقيقة التي تقوم عليها العولمة وبين ثوابت ديننا الحنيف، ومن أبرز هذه الحوارات ما ذكره أحد المفكرين العرب عن النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة التي تتناول أموراً

عقائدية: كالكرسي والعرش والميزان والصراط والملائكة والجن والشياطين والسحر والحسد إلخ... فقد اعتبرها ألفاظاً مرتبطة بواقع ثقافي معين، ويجب أن نفهمها على ضوء واقعها الثقافي، واعتبر أن وجودها الذهني السابق لا يعني وجودها العيني، وقد أصبحت ذات دلالات تاريخية، هذا المفكر في كل أحكامه السابقة ينطلق من أن النصوص الدينية نصوص لغوية تنتمي إلى بنية ثقافية محدودة، تم إنتاجها طبقاً لنواميس تلك الثقافة التي تعد اللغة نظامها الدلالي المركزي، وهو يعتمد على نظرية عالم اللغة "دي سوسير" في كل ما يروّج له، وينتهي هذا المفكر إلى ضرورة إخضاع النصوص الدينية إلى المناهج اللغوية المشار إليها سابقاً.

وتساؤلنا: لماذا يعتبر هذا المفكر ألفاظ: الكرسي، العرش، الملائكة، الجن، الشياطين، الحسد، السحر

ألفاظاً ذات دلالات تاريخية؟ فهل العلم الحديث نفى بشكل قاطع وجود حقائق عينية لتلك الألفاظ حتى نُعفِي عليها ونعتبرها ألفاظاً لا حقائق لها ووجودها وجود ذهني وحسب؟ لم يثبت هذا(٢) .

على هذا الأساس تبرز أهمية مدرسة أهل العصمة عليهم السلام في التأول التي أصلها الأحسائي في كتاباته الحكمية طويلاً ليرسخ عقيدة ومنهجاً ومنارا لكل من يريد السير قدماً نحو الحقيقة القرآنية الصافية، ولكي لا يتلاعب أعداء الدين بقيمه وأخلاقه وعقيدته وفقهه، كما رأينا كلنا كيف وضعوا امرأة تؤم الرجال في الصلاة. وأصولها قد ذكرناها آنفاً، فراجع.

---

٢) لم يذكر اسم المؤلف، العولمة: الحقيقة والأبعاد،ورقة قدمت من المشرف على مؤتمر كلية الشريعة بجامعة الكويت المنعقد سنة ٢٠٠٠ حول العولمة ، عن موقع: www.al-ommah.org

اقرأ الشيخ الأحسائي

كتاب فصلي يصدر بالاشتراك مع موقع الأحسائي نت، يتضمن بحثاً مكتوباً بلغة سهلة لعموم القراء الذين يرغبون بقراءة فكر الشيخ الأحسائي أو فكر تلامذته أو تلاميذ تلامذته وهكذا إلى الآن.

وهذا الكتاب يدعو جميع الكتّاب للمشاركة ببحوثهم حول الأحسائي وتلامذته وفق الشروط التالية :

١- لا يهم أن يكون البحث جديداً، المهم أن يكون علمياً وسهلاً على القراء العموم.

٢- أن لا يهاجم الأحسائي أو أحد تلامذته في عقيدتهم وله الخيار في استنباطاته الأخرى.

٣- أن يراعي شروط البحث العلمـي، لا سـيما توثيـق الأقوال بذكر: اسم المؤلف، عنوان الكتـاب، رقـم الطبعة، تاريخها، الناشر، مكان النشر.

٤- إرسال بحثه مكتوباً بالكمبيوتر مصححاً على هذا البريد:

[saeed@alahsai.net] .

أعزائي القراء

انتظروا العدد القادم

شهر العبادة والإستفادة

يمكنك الآن الاستفادة من عرض مؤسسة فكر الأوحد

(اشتر كتاباً واحصل على الآخر مجاناً)

تبركاً بميلاد الإمام المهدي المنتظر عليه السلام
وقرب حلول شهر رمضان الكريم المبارك

بإمكانك في هذه الفترة الحصول على نسخة مجانية أخرى
من أي إصدار تطلبه من إصدارات مؤسسة فكر الأوحد المتوفرة

مراكز التوزيع (لهذا العرض):

سوريا: مكتبة الأوحد - السيدة زينب عليها السلام - مقابل الحسينية الفاطمية.
هاتف: (٠٠٩٦٣٩٩٩٤٩٥٣٨٤) - ص.ب: (٢١٣).
الكويت: مكتبة السيدة العذراء عليها السلام - بنيد القار.
جوال: (٠٠٩٦٥٩٠٧٠٥٠٢) - هاتف: (٠٠٩٦٥٢٥١٨١٧٠)
مشهد: مكتبة الأوحد - مجمع الغدير.
جوال: (٠٠٩٨٩١٥٣١٤٧٧٣٠) - هاتف: (٠٠٩٨٥١١٢٢١٣٦٩٠).
البحرين: شركة المصطفى - جد حفص - مجمع الهاشمي.
للإستفسار والتواصل على الأرقام التالية:

(٠٠٩٦٦٥٠٣٩٠٣٩٩٨ - ٠٠٩٦٦٥٠٨٠٥٣٩٥٩)

إصدارات مؤسسة فكر الأوحد تقبّل

- المتوفرة حالياً -

١) **نظرة فيلسوف** (في سيرة الأحسائي والرشتي).

تأليف: الفيلسوف الفرنسي هنري كوربان.

٢) **حل مشكلات شرح الزيارة الجامعة الكبيرة.**

تأليف: آية الله المولى الميرزا حسن الحائري الإحقاقي تقبّل.

٣) **التحقيق في مدرسة الأوحد تقبّل.**

تأليف: آية الله المولى الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي تقبّل.

٤) **دفاعٌ عن الشيخ الأوحد الأحسائي تقبّل.**

تأليف: آية الله الشيخ إسماعيل بن أسد الله الكاظمي تقبّل.

٥) **أسرار العبادات.** تأليف: السيد كاظم الحسيني الرشتي تقبّل.

٦) **الوعي المدرسي.** تأليف: الشيخ سعيد القريشي.

٧) **نزهة الأفكار.** تأليف: معتمد الإسلام الكندجاني.

٨) **رسالة نصف المجتمع.** تأليف: القنواء الهجرية (آسيا علي مكي).

٩) **شخصيات من بلادي (العدد الأول).**

حول الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي تقبّل.

١٠) **موسوعة شرح الفوائد (في حكمة أهل البيت عليهم السلام).**

تأليف: الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي تقبّل.

١١) **شيخ المتألهين (أضواء على شخصية عالمية).**

تأليف: العلامة السيد محمد رضا السلمان (أبو عدنان).

١٢) **الرجعة (بحوث حول قيام المهدي عليه السلام ورجعة محمد وآله عليهم السلام).**

تأليف: الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي تقبّل.

إصدارات مؤسسة فكر الأوحد تغمده الله

- غير المتوفرة حالياً -

١) **أسرار الشهادة** (سرُّ الحقيقة في واقعة الطفوف).

تأليف: السيد كاظم الحسيني الرشتي تغمده الله.

٢) رؤى حول **الأسرار الحسينية** في مدرسة الشيخ الأحسائي تغمده الله.

تأليف: الشيخ الأوحد الأحسائي تغمده الله، والسيد كاظم الرشتي تغمده الله.

٣) **كشف الحق** (في مسائل المعراج). تأليف: السيد كاظم الحسيني الرشتي تغمده الله.

٥) **السلوك إلى الله** عز وجل. تأليف: السيد كاظم الحسيني الرشتي تغمده الله.

٦) **شرح دعاء السِّمات** (ويليه شرح حديث القدر).

تأليف: السيد كاظم الحسيني الرشتي تغمده الله.

٧) **مسائل حكمية**؛ (أجوبة مسائل الشيخ محمد القطيفي).

تأليف: الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي تغمده الله.

٨) **أسرار أسماء المعصومين** عليهم السلام. تأليف: السيد كاظم الحسيني الرشتي تغمده الله.

٩) **صفحات مشرقة من حياة الإمام المصلح تغمده الله.**

تأليف: المولى الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي تغمده الله.

١٠) **عبقات من فضائل أهل البيت** عليهم السلام، (قصيدة شعرية).

من نظم: الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي تغمده الله.

١١) **توضيح الواضحات**، (ردود على اعتراضات البرقعي).

تأليف: آية الله المولى الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي تغمده الله.

١٢) **خصائص الرسول الأعظم** صلى الله عليه وآله **والبضعة الطاهرة** عليها السلام.

تأليف: السيد كاظم الحسيني الرشتي تغمده الله.

١٣) **قصص من حياة الشيخ الأوحد الأحسائي** تغمّده.

جمع وإعداد: مؤسسة فكر الأوحد تغمّده.

١٤) **العصمة** (بحث مفصل في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام).

تأليف: الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي تغمّده.

١٥) **أحوال البرزخ والآخرة.**

برؤية: الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي تغمّده.

١٦) **ديوان الشيخ الأوحد الأحسائي** تغمّده.

مجموعة قصائد شيخ المتألهين الأوحد الأحسائي تغمّده.

١٧) أضواء على **الوصية الأخيرة** لخادم الشريعة الغراء تغمّده.

بقلم: الشيخ راضي السلمان.

١٨) **الأربعون حديثاً**. مجموع من مؤلفات الشيخ الأوحد الأحسائي تغمّده.

١٩) **صلاة الليل** (ثوابها وآدابها وكيفيتها).

مقتبس من مؤلفات الشيخ الأوحد الأحسائي تغمّده.

٢٠) **تفسير الشيخ الأوحد الأحسائي** تغمّده (الجزء الأول).

جمعٌ للآيات المفسَّرة في كتب الشيخ الأوحد الأحسائي تغمّده.

إدارة المؤسسة ترحب بإعادة طباعة هذه الإصدارات بتبرعات ومساهمات المؤمنين والمؤمنات

اقرأ الشيخ الأحسائي

كتاب فصلي يصدر بالاشتراك مع موقع الأحسائي نت ، يتضمن بحثاً مكتوباً بلغة سهلة لعموم القرّاء الذين يرغبون بقراءة فكر الشيخ الأحسائي أو فكر تلامذته أو تلاميذ تلامذته وهكذا إلى الآن .

وهذا الكتاب يدعو جميع الكتّاب للمشاركة ببحوثهم حول الأحسائي وتلامذته وفق الشروط التالية :

١ - لايهم أن يكون البحث جديداً ، المهم أن يكون علمياً وسهلاً على القرّاء العموم .

٢ - أن لا يهاجم الأحسائي أو أحد تلامذته في عقيدتهم وله الخيار في إستنباطاته الأخرى .

٣ - أن يراعي شروط البحث العلمي لا سيما توثيق الأقوال بذكر : اسم المؤلف ، عنوان الكتاب ، رقم الطبعة ، تاريخها ، الناشر ، المكان .

٤ - إرسال بحثه مكتوباً بالكمبيوتر مصححاً على هذا البريد www.saeed@alahsai.net

مؤسسة فكر الأوحد للتحقيق والطباعة والنشر
www.fikralawhad.net
radi@fikralawhad.net